ومنزلته اقيم مقامه قوله فمثله كمثل الكلب في بيان حطه منزلته فان في تمثيله بالكلب
حطا لمنزلته وفي تمثيله به في اخراجه الله حط لها مع ان تصوير المعقول بصورة المحسوس
ابلغ في بيانه قيل وجه التمثيل ان كل شيء يلهث فانما يلهث من اعياء وعطش وضعف غالبا الا
الكلب اللاهث فانه يلهث في كل واحدة من حالتي الاعياء والراحة وحالتي العطش والري
فان ذلك عادة وطبيعة اصلية وهو مواظب عليه لطبعه الخبيثة والتي نفسه فيها
كان حاله كحال ذلك اللاهث اتصف بالحالة الخسيسة من غير حاجة تدعو اليه فكيف
اذا دعته اليه حاجة فكان كالكلب اللاهث بكل حال ثم انه تعالى لما شبه هذا الكافر المنسلخ
عن ايات الله المعرض عن العمل بمقتضاها بالكلب اللاهث في كل حال عمم هذا التمثيل جميع من كذب
بايات الله فقال ذلك مثل القوم الذين كذبوا باياتنا على ان ذلك اشارة الى ما وصف به
الكلب اي ذلك المثل الذي وصف به الكلب مثل كل مكذب لايات الله فان من كذب بايات الله الواضحة
الدالة من غير ضرورة تدعو الى التكذيب يكون التكذيب صفة لازمة له لزوم اللهث للكلب قوله
فاقصص القصص فان قصة بلعم نحو قصة اليهود فان بلعم بعدما اوتي الله انسلخ منها ومال
الى الدنيا حتى صار كالكلب كذلك اليهود بعدما اوتوا التورية المشتملة على نعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
وذكر القران المعجز وبشروا الناس باقتراب مبعثه وكانوا يستفتحون به انسلخوا عما اعتقدوا
في حقه وكذبوه وحرفوا اسمه ونعته فحذوا اعمال اليهود حال بلعم قوله اي مثل القوم يعني ان
ساء من افعال الذم بمعنى بئس فلا بد من فاعل ظاهر معرف باللام ومضاف الى المعرف باللام
او مضمر مميز بنكرة منصوبة كما في هذه الاية ولا بد ان يذكر بعده المخصوص والمذكور
بعد المميز في الاية وهو القوم لا يصلح ان يكون مخصوصا بالذم لما تقرر من ان الفاعل ومميزه والمخصوص
لا بد ان يكون عبارة عن شيء واحد والقوم ههنا غير متحد مع الفاعل ومميزه صدقا فلذلك
قدر مضافا محذوفا من المخصوص وجعل المقدر كانه ساء مثل القوم حذف المضاف واقيم المضاف
اليه مقامه وقرئ ساء مثل القوم باسناد الفعل الى فاعل الظاهر المضاف الى المعرف باللام و
حذف المخصوص بالذم كما حذف المخصوص بالمدح في قوله تعالى فنعم الماهدون للعلم به اي ساء مثل القوم مثلهم و
هو كونهم كالكلب يلهث دائما فعلى هذه القراءة يكون قوله الذين كذبوا باياتنا في محل الرفع على انه المخصوص

المخصوص بالذم ولا بد من حذف مضاف ليتصادق الفاعل والمخصوص على شيء واحد
والتقدير ساء مثل القوم الذين اي صفتهم العجيبة وهي تكذيبهم بايات الله واعراضهم عنها
بعد قيام الحجة عليها وعلمهم بها قوله اما ان يكون داخلا في الصلة معطوفا على كذبوا
والاحسن ان يكون منقطعا عن الصلة ويكون اعتراضا واردا لبيان حالهم وهي انهم ما ظلموا
بالتكذيب الا انفسهم لان وباله لا يتعدى الى غيرها ولافادة هذا التخصيص قدم المفعول
ثم انه تعالى لما وصف الضالين وعرف حالهم بالمثل المذكور بين بقوله من يهدي الله
فهو المهتدي الاية ان كل واحد من الهدى والضلال من الله تعالى وان هدايته تعالى
تختص ببعض دون بعض وانها مستلزمة للاهتداء ولما كانت هذه النص صريحا مخالفا لمذهبنا
تشبيه الانفس المعتزلة اضطربوا وذكروا في تاويل الاية وجوها كثيرة منها ما ذكره
الجبائي وارتضاه القاضي عبد الجبار وهو ان المراد من يهده الله الى الجنة وثواب الاخرة
فهو المهتدي في الدنيا السالك طريق الرشد فيما كلف به فبين سبحانه انه لا يهدي الى الثواب
في الاخرة الا من هذه صفته ومن يضلله عن طريق الجنة فاولئك هم الخاسرون
وهو ضعيف لانه قد حمل قوله من يهدي الله على الهداية في الاخرة الى الجنة وقوله
فهو المهتدي على الاهتداء الى الحق في الدنيا وذلك يوجب ركاكة في النظم
بل يجب ان يكون الهداية والاهتداء راجعين الى شيء واحد ليحسن نظام الكلام قوله
والافراد في الاول اي افراد ضمير في قوله تعالى فهو المهتدي وجمعه في قوله فاولئك هم الخاسرون
لاعتبار جانب اللفظ في الاول وجانب المعنى في الثاني تنبيها على ما ذكر من ان المهتدين كنفس واحدة
لاتحاد طريقتهم بخلاف الضالين فان لهم طرقا لا تنحصر فكل من اولئك طريقا من تلك الطرق المختلفة
فهو طائفة مغاير لمن اتخذ سائر الطرق لذلك جمع لفظ الخاسرون وفرد لفظ المهتدي
فان المهتدين وان تعددت اشخاصهم فهم طائفة واحدة نظرا الى اتحاد طريقهم
قوله والاقتصار في الاخبار عمن هداه الله تعالى بالمهتدي يعني انه تعالى اقتصر في
الاخبار عنه على لفظ مطاوع هداه فقال فهو المهتدي ولم يصفه بوصف زائد
على الاهتداء اللازم للهداية تنبيها على ان الاهتداء في نفسه كمال العنصر فيه على

Copyright © King Saud University